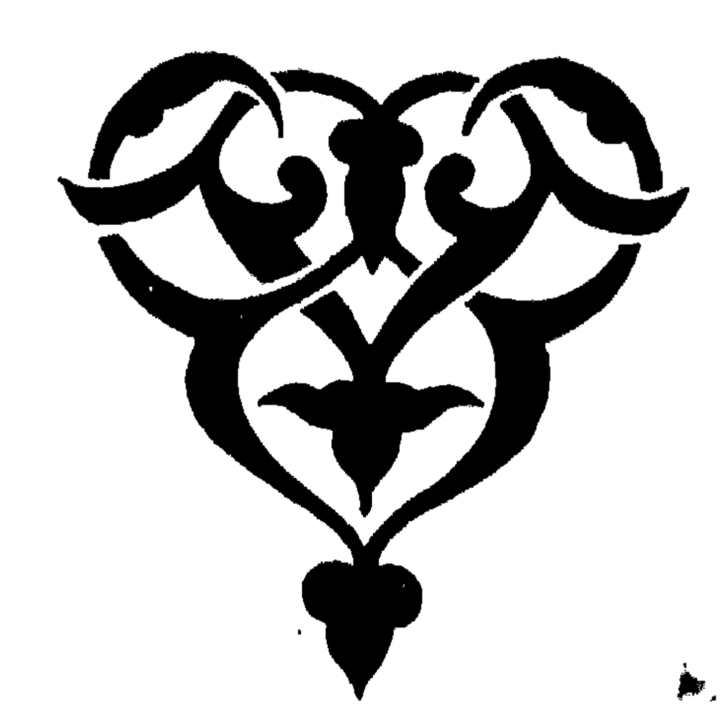
محمد باقر الصدر

بحث حول المهدي

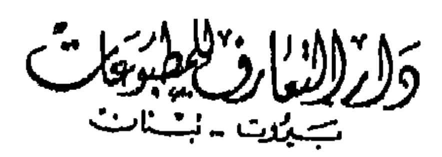




بحث حول المهدي

بحث حول المهدي

مقدمة تفضل بها سماحة سيدنا الاستاذ آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر دام ظله الشريف تبريكاً لهذه الموسوعة الشريفة .



١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



المكتب : شارع سوريا - بناية دوريش - الطابق الثالث
الادارة والمعرض - حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية الحسنين
تلفون ٨٣٧٨٥٧ - ٨٢٣٠١٠ - ٨٢٣٦٨٥
ص. ب ٨٦٠١ - ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ
الْوَارِثِينَ» ٥ : القصص .

ليس المهدي تجسيداً لعقيدة اسلامية ذات طابع ديني فحسب ، بـــل هو عنوان لطموح اتجهت اليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها ، وصياغة لإلهام فطري ، ادرك الناس من خلاله ـ على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب ـ أن للانسانية يوماً موعـوداً على الأرض . تحقق فيه رسالات السماء بمغزاهـــا الكبير ، وهدفها النهائي ، وتجد فيه المسيرة المكـدودة للانسان على مرّ التاريخ استقرارها وطمانينتها ، بعد عناءٍ طويل . بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب ، بل امتدّ الى غيرهم أيضاً وانعكس حتى على أشدّ الايديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات ، كالمادية الجدلية التي فسّرت التاريخ على أساس التناقضات ، وآمنت بيـوم موعود ، تصفى

فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام .
وهكذا نجد ان التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارستها الانسانية على مر الزمن ، من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الانسان .

وحينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام ، ويؤكد ان الأرض في نهاية المطاف ستمتلأ قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، يعطي لذلك الشعور قيمته الموضوعية ويحوله الى ايمان حاسم بمستقبل المسيرة الانسانية ، وهذا الايمان ليس مجرد مصدر للسلوة والعزاء فحسب ، بل مصدر عطاء وقوة ، فهو مصدر عطاء ، لأن الايمان بالمهدي ايمان برفض الظلم والجور حتى وهو يسود الدنيا كلها ، وهو مصدر قوة ودفع لا تنضب ، لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الانسان ، ويحافظ على الأمل المشتعل في صدره مهما ادلهمت الخطوب وتعملق الظلم ، لأن اليوم الموعود ، يثبت ان بامكان العدل ان يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور فيزعزع ما فيه

من اركان الظلم ، ويقيم بناءه من جديد ، وان الظلم مهما تجبّر وامتدّ في ارجاء العالم وسيطر على مقدراته ، فهو حالة غير طبيعية ، ولا بد ان ينهزم . وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم وهو في قمة مجده ، تضع الأمل كبيراً أمام كل فرد مظلوم ، وكل أمة مظلومة في القدرة على تغيير الميزان واعادة البناء .

وإذا كانت فكرة المهدي أقدم من الاسلام وأوسع منه ، فان معالمها التفصيلية التي حددها الإسلام جاءت أكثر اشباعاً لكل الطموحات التي انشدت إلى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني ، واغنى عطاءً واقوى إثارةً لأحاسيس المظلومين والمعذبين على مرّ التاريخ وذلك لأن الإسلام حوّل الفكرة من غيب إلى واقع ، ومن مستقبل إلى حاضر ، ومن التطلع الى منقذ تتمخض عنه الدنيا في المستقبل البعيد ، المجهول إلى الايمان بوجود المنقذ فعلاً ، وتطلعه مع المتطلعين إلى اليوم الموعود ، واكتمال كل الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم ،

فلم يعد المهدي « عليه السلام » فكرةً ننتظر ولادتها ؛ ونبوءةً نتطلع إلى مصداقها ، بل واقعاً قائماً ننتظر فاعليته وانساناً معيناً يعيش بيننا بلحمه ودمه نراه ويرانا ، ويعيش مع آمالنا وآلامنا ويشاركنا احزاننا وافراحنا ، ويشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المعذبين وبؤس البائسين وظلم الظالمين ، ويكتوي بكل ذلك من قريب أو بعيد ، وينتظر بلهفة اللحظة التي يتاح له فيها ان يمدّ يده إلى كل مظلوم وكل محروم ، وكل بائس ويقطع دابر الظالمين .

وقد قدّر لهذا القائد المنتظر أن لا يعلن عن نفسه ، ولا يكشف للآخرين حياته على الرغم من انه يعيش معهم انتظاراً للحظة الموعودة .

ومن الواضح ان الفكرة بهذه المعالم الإسلامية ، تقرّب الهوة الغيبية بين المظلومين كل المظلومين ، والمنقذ المنتظر وتجعل الجسر بينهم وبينه في شعورهم النفسي

قصيراً مهما طال الانتظار .

ونحن حينما يراد منا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفها تعبيراً ، عن انسان حي محدد يعيش فعــلاً كما نعيش ويترقب كما نترقب ، يراد الايحاء الينا بان فكرة الرفض المطلق لكل ظلم وجور التي يمثلها المهدي ، تجسَّدت فعلاً في القائد الرافض المنتظر ، الذي سيظهر وليس في عنقه بيعة لظالم كما في الحديث ، وان الايمان بـــه ايمان بهذا الرفض الحي القائم فعلاً ومواكبة له .

وقد ورد في الاحاديث الحث المتواصل على انتظار الفرج ، ومطالبة المؤمنين بالمهدي ان يكونوا بانتظاره . وفي ذلك تحقيق لتلك الرابطة الروحيـــة ، والصلة الوجدانية بينهم وبين القائد الرافض ، وكل ما يرمز اليه من قيم ، وهي رابطة وصلة ليس بالامكان ايجادها مـا لم يكن المهدي قد تجسَّـد فعلاً في انسان حي معاصر .

وهكذا نلاحظ ان هذا التجسيد اعطى الفكرة زخم

جديداً ، وجعل منها مصدر عطاءٍ وقوة بدرجة آكبر ، اضافة إلى مـا يجـده أي انسان رافض من سلوة وعزاء وتخفيف لما يقاسيه من آلام الظلم والحرمان ، حين يحس ان إمامه وقائده يشاركه هذه الآلام ويتحسّس بها فعلاً بحكم كونه انسانـاً معاصراً ، يعيش معـه وليس بمجرد فكرة مستقبلية ..

ولكن التجسيد المذكـور أدى في نفس الوقت إلى مواقف سلبية تجاه فكرة المهدي نفسها ، لدى عـدد من الناس الذين صعب عليهم ان يتصوروا ذلك ويفترضوه .

فهم يتساءلون ! إذا كان المهـــدي يعبر عن انسان حي ، عـاصر كل هذه الأجيال المتعاقبـة منذ أكثر من عشرة قرون ، وسيظل يعاصر امتداداتهـا إلى ان يظهر على الساحة ، فكيف تأتى لهذا الانسان أن يعيش هـذا العمر الطويل ، وينجو من قوانين الطبيعة التي تفرض على كل انسان أن يمر بمرحلة الشيخوخة والهرم ، في وقت

سابق على ذلك جداً وتؤدي به تلك المرحلة طبيعياً الى الموت ، أو ليس ذلك مستحيلاً من الناحية الواقعية ؟

ويتساءلون أيضاً ! لماذا كل هـــذا الحرص من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على هـذا الانسان بالذات ، فتعطل من اجله القوانين الطبيعية ، ويفصل المستحيـل لإطالة عمره والاحتفاظ به لليوم الموعود ، فهل عقمت البشرية عن انتاج القادة الأكفاء ؟ ولماذا لا يترك اليوم الموعـود لقائد يولد مع فجر ذلك اليوم ، وينمو كما ينمو الناس ، ويمارس دوره بالتدريج حتى يملأ الأرض قسطاً وعـدلاً بعد ان ملئت ظلماً وجوراً ؟

ويتساءلون أيضاً ! إذا كان المهدي اسماً لشخص محدّد هو ابن الامام الحادي عشر من أئمة أهل البيت (ع) الذي ولد سنة (٢٥٦)هـ وتوفي أبوه سنة (٢٦٠)هـ، فهذا يعني انه كان طفلاً صغيراً عند موت ابيه ، لا يتجاوز خمس سنوات ، وهي سن لا تكفي للمرور بمرحلة اعـــداد

فكري وديني كامل على يد أبيه ، فكيف وبأي طريقة يكتمل اعداد هذا الشخص لممارسة دوره الكبير ، دينياً وفكرياً وعلمياً ؟

ويتساءلون أيضاً ؟ إذا كان القائد جاهزاً فلماذا كل هذا الانتظار الطويل مئات السنين ؟ أو ليس في ما شهده العالم من المحن والكوارث الاجتماعية ما يبرر بروزه على الساحة واقامة العدل على الأرض ؟

ويتساءلون أيضاً ! كيف نستطيع أن نؤمن بوجود المهدي ، حتى لو افترضنا ان هذا ممكن ؟ وهل يسوغ لانسان ان يعتقد بصحة فرضية من هذا القبيل دون ان يقوم عليها دليل علمي أو شرعي قاطع ؟ وهل تكفي بضع روايات تنقل عن النبي (ص) لا نعلم مدى صحتها للتسليم بالفرضية المذكورة ؟

ويتساءلون أيضاً بالنسبة إلى ما اعدّ له هذا الفرد من دور في اليوم الموعود !.. كيف يمكن أن يكون للفرد

هذا الدور العظيم الحاسم في حياة العالم ، مع ان الفرد مهما كان عظيماً لا يمكنه أن يصنع بنفسه التاريخ ، ويدخل به مرحلة جديدة ، وانما تختمر بذور الحركة التاريخية وجذوتها في الظروف الموضوعية وتناقضاتها ، وعظمة الفرد هي التي ترشحه لكي يشكل الواجهة لتلك الظروف الموضوعية ، والتعبير العملي عما تتطلبه من حلول ؟

ويتساءلون أيضاً ! ما هي الطريقة التي يمكن أن نتصور من خلالها ما سيتمُّ على يد ذلك الفرد من تحول هائل وانتصار حاسم للعدل ورسالة العدل على كل كيانات الظلم والجور والطغيان ، على الرغم مما تملك من سلطان ونفوذ ، وما يتواجد لديها من وسائل الدمار والتدمير وما وصلت اليه من المستوى الهائل في الامكانات العلمية والقدرة السياسية والاجتماعية والعسكرية !

هذه اسئلة قد تتردد في هذا المجال وتقال بشكل وآخر ، وليست البواعث الحقيقية لهذه الاسئلة فكرية

فحسب ، بل هناك مصدر نفسي لها أيضاً ، وهو الشعور بهيبة الواقع المسيطر عالمياً وضآلة أي فرصة لتغييره من الجذور ، وبقدر ما يبعثه الواقع الذي يسود العالم على مرّ الزمن من هذا الشعور تتعمق الشكوك وتترادف التساؤلات . وهكذا تؤدي الهزيمة والضآلة والشعور بالضعف لدى الانسان ، إلى ان يحسّ نفسياً بإرهاق شديد لمجرد تصور عملية التغيير الكبرى للعالم التي تفرغه من كل تناقضاته ومظالمه التاريخية ، وتعطيه محتوىً جديداً قائماً على أساس الحق والعدل ، وهذا الارهاق يدعوه إلى التشكك في هذه الصورة ومحاولة رفضها لسبب وآخر

ونحن الآن نأخذ التساؤلات السابقة تباعاً ، لنقف عند كل واحد منها وقفة قصيرة بالقدر الذي تتسع له هذه الوريقات .

١ ـ كيف تأتى للمهـدي
هذا العمر الطويل ؟

وبكلمة أخرى هل بالامكان ان يعيش الانسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم ، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومائة وأربعين سنة ، أي حوالي (١٤) مرة من عمر الانسان الاعتيادي الذي يمر بكل المراحل الاعتيادية من الطفولة الى الشيخوخة ؟

وكلمة الامكان هنا تعني أحد ثلاثة معانٍ ، الامكان العملي ، والامكان العلمي ، والامكان المنطقي أو الفلسفي ، واقصد بالامكان العملي ، أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك ، أو لانسان آخر فعلاً ان يحققه ، فالسفر عبر المحيط ، والوصول إلى قاع البحر ، والصعود الى القمر ، أشياء أصبح لها امكان عملي فعلاً . فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر .

وأقصد بالامكان العلمي ، ان هناك اشياء قــد لا يكون بالامكان عملياً لي أو لك ، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعـاصرة ، ولكن لا يوجـد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة الى مـا يبرر رفض امكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة ، فصعود الانسان الى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم مـا يرفض وقوعه ، بل ان اتجاهاته القائمة فعـلاً تشير إلى امكان ذلك وان لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك ، لأن الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس الا فـارق درجة ، ولا يمثـل الصعود إلى الزهرة إلا مرحلة تذليل الصعـاب الاضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعـد ، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وان لم يكن ممكناً عملياً فعلاً . وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنه غير ممكن علمياً ، بمعنى ان العلم لا أمل له في وقوع ذلك إذ لا يتصور علمياً وتجريبيـاً امكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس ،

التي تمثـل آتوناً هائـلاً مستعراً باعلى درجـة تخطر على بال انسان .

وأقصد بالامكان المنطقي أو الفلسفي ان لا يوجـد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية ـ أي سابقة على التجربة ـ ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته .

فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر الى نصفين ليس له امكان منطقي ، لأن العقل يدرك ـ قبل أن يمارس أي تجربـة ـ ان الثلاثة عـدد فردي وليس زوجاً ، فلا يمكن ان تنقسم بالتساوي لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد وهـذا تناقض ، والتناقض مستحيل منطقياً . ولكن دخول الانسان في النار دون ان يحترق وصعوده للشمس دون ان تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية إذ لا تناقض في افتراض ان الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارة الى الجسم

الأقل حرارة ، وانما هو مخالف للتجربة التي انبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة الى الجسم الاقل حرارة الى ان يتساوى الجسمان في الحرارة .

وهكذا نعرف ان الامكان المنطقي أوسع دائرة من الامكان العلمي ، وهذا أوسع دائرة من الامكان العملي .

ولا شكّ في ان امتداد عمر الأنسان آلاف السنين ممكن منطقياً ، لأن ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية ، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض ، لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع ولا نقاش في ذلك .

كما لا شكّ أيضاً ولا نقاش في ان هذا العمر الطويل ليس ممكناً امكاناً عملياً على نحو الامكانات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود الى القمر ، ذلك لأن العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً ، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة ، لا تستطيع أن تمدد عمر

الانسان مئات السنين ، ولهذا نجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير امكانات العلم ، لا يتاح لها من العمر إلا بقدر ما هو مالوف .

وأما الامكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية . وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعيـة التفسير الفلسجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الانسان ، فهل تعبّر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على انسجة جسم الانسان وخلاياه بعد ان تبلغ قمة نموها أن تتصلب بالتدريج وتصبح أقل كفاءة للاستمرار في العمل ، إلى ان تتعطل في لحظة معينة ، حتى لو عزلناها عن تاثير أي عامل خارجي ، أو ان هذا التصلب وهـذا التناقص في كفاءة الانسجة والخلايا الجسمية ، للقيام بادوارها الفسيولوجية نتيجة صراع مع عوامل خارجيـة كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف ، أو ما يقوم به من عمل مكثف أو أي عامل آخر ؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه : وهو جاد في الاجابة عليه ، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي . فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي ، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة فهذا يعني أن بالامكان نظرياً ، إذا عزلت الانسجة التي يتكون منها جسم الانسان عن تلك المؤثرات المعينة أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً .

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والانسجة الحية نفسها بمعنى انها تحمل في احشائها بذرة فنائها المحتوم ، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت .

أقول : إذا اخذنا بوجهة النظر هذه فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي ، بل

هو على افتراض وجوده قانون مرن ، لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلميـة ان الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية ، لا زمنية قـــد تأتي مبكرة وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة ، حتى ان الرجل قد يكون طاعنا في السن ولكنه يملك اعضاء لينة ولا تبدو عليه اعراض الشيخوخة كما نص على ذلك الاطباء . بل ان العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض ، فاطـــالوا عمر بعض الحيوانات مئـــات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية ، وذلك بخلق ظروف وعوامـل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة .

وبهذا يثبت علمياً أن تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينة أمر ممكن علميـاً ، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائنٍ معقد معين كالانسان فليس ذلك إلا لفارق درجه بـين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الانسان وصعوبتها بالنسبة إلى

احياء أشرق . وهذا يعني ان العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشير اليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض امكانية اطـــالة عمر الانسان ، سواءً فسرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء .

ويتلخص من ذلك : أن طول عمر الانسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً ، إلا ان اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الامكان عبر طريق طويل .

وعلى هذا الضوء نتنـاول عمر المهدي « عليه الصلاة والسلام » ومـــا احيط به من استفهام أو استغراب . ونلاحظ : انه بعـد ان ثبت امكان هـذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً ، وثبت ان العلم سائر في طريق تحويل الامكان النظري الى امكان عملي تدريجـــاً ، لا يبقى

للاستغراب محتوىً الا استبعاد ان يسبق المهدي العلم نفسه ، فيتحول الامكان النظري الى امكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل ، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان .

وإذا كانت المسالة هي انه كيف سبق الاسلام ـ الذي صمم عمر هذا القائد المنتظر ـ حركة العلم في مجال هذا التحويل ؟

فالجواب : انه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الاسلام حركة العلم . أو ليست الشريعة الاسلامية ككل ، قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الانساني قروناً عديدة ؟ أوَ لَمْ تنادِ بشعارات طرحت خططاً للتطبيق لم ينضج الانسان للتوصل اليها في حركته المستقلة إلا بعد مئات السنين ؟ أوَ لَمْ تأت بتشريعات في غاية الحكمة لم يستطع الانسان أن يدرك اسرارها ووجه الحكمة فيها إلا قبل برهة وجيزة من الزمن ؟ أوَ لَمْ تكشف رسالة السماء اسراراً من الكون

لم تكن تخطر على بال انسان ، ثم جاء العلم ليثبتها ويدعمها ؟! فاذا كنا نؤمن بهذا كله فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة ـ سبحانه وتعالى ـ ان يسبق العلم في تصميم عمر المهدي ؟ وانا هنا لم اتكلم الا عن مظاهر السبق التي نستطيع ان نحسها نحن بصورة مباشرة ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر السبق التي تحدثنا بها رسالة السماء نفسها . ومثال ذلك انها تخبرنا بأن النبي(ص) قد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهذا الاسراء ، إذا أردنا أن نفهمه في اطار القوانين الطبيعية فهو يعبر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح للعلم أن يحققه إلا بعد مئات السنين ، فنفس الخبرة الربانية التي اتاحت للرسول (ص) التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك ، اتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك .

نعم ، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ

المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس وفي ما انجز فعلا من تجارب العلماء . ولكن أوَ لَيْسَ الدور التغييري الحاسم الذي أعد له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس . وما مرت بهم من تطورات التاريخ ؟ أوَ لَيْسَ قد أنيط به تغيير العالم ، واعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل ؟ فلماذا نستغرب إذا اتسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ المنتظر ؟ فان غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً ، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود انجازه . فاذا كنا نستسيغ ذلك الدور الفريد تاريخياً على الرغم من انه لا يوجه دور مناظر له في تاريخ الإنسان ، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة ؟

ولا أدري هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط ،

بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد ، فيكون لكل منهما عمر مديد يزيد على اعمارنا الاعتيادية اضعافاً مضاعفة ؟ احدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو نوح الذي نص القرآن الكريم على انه مكث في قومه ألف عام إلا خمسين سنة ، وقدر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد . والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهدي الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام وسيقدر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد .

فلماذا تقبل نوح الذي ناهز ألف عام على أقل تقدير ولا تقبل المهدي ؟

المعجزة
والعمر الطويـل

وقد عرفنا حتى الآن ان العمر الطويل ممكن علمياً ، ولكن لنفترض انه غير ممكن علمياً ، وان قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم ، لا يمكن للبشرية اليوم ولا على خطها الطويل أن تتغلب عليه ، وتغير من ظروفه وشروطه فماذا يعني ذلك ؟ انه يعني ان اطالة عمر الانسان ـ كنوح أو كالمهدي ـ قروناً متعددة ، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي اثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة ، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة للحفاظ على حياة الشخص الذي انيط به الحفاظ على رسالة السماء ، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها ، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدة من نص القرآن والسنة ، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشد صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويان ، وقد عطل هذا القانون لحماية حياة ابراهيم « عليه السلام » حين كان الاسلوب الوحيد للحفاظ عليه

تعطيل ذلك القانون فقيل للنـــار حين ألقي فيها ابراهيم «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ»[1] فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذى ، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية اشخاص من الأنبياء وحجج الله عـــلى الأرض ففلق البحر لموسى . وشبّه للرومان انهم قبضوا على عيسى ولم يكونوا قـد قبضوا عليه ، وخرج النبي محمـد (ص) من داره وهي محفوفه بحشود قريش التي ظلت ساعات تتربص به لتهجم عليه ، فستره الله تعالى عن عيونهم وهـو يمشي بينهم . كل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص ، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته ، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين .

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام وهو انه كلما توقف الحفاظ على حياة حجة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي وكانت ادامة حياة ذلك الشخص ضرورية

---

(١) الانبياء : ٦٩ .

لإنجاز مهمته التي أعِدّ لها ، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لانجاز ذلك ، وعلى انعكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أعِدّ لها ربانياً فانه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي : كيف يمكن أن يتعطل القـانون ، وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية ؟ وهل هـذه إلاّ مناقضة للعـلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي ، وحدد هـــذه العلاقة الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية ؟

والجواب : ان العلم نفسه قد أجاب على هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي وتوضيح ذلك : ان القوانين الطبيعية يكتشفها العـلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة ، فحين يطرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة اخرى يستدل بهـذا الاطراد على

قانون طبيعي ، وهو انـه كلما وجدت الظاهرة الاولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها ، غير ان العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتهـا ، وصميم تلك وذاتها لأن الضرورة حـــالة غيبيه ، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي اثباتها ، ولهذا فان منطق العلم الحديث ، يؤكد ان القانون الطبيعي ـ كما يعرّفه العلم ـ لا يتحدث عن علاقة ضرورية بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين ، فـــإذا جاءت المعجزة وفصلت احدى الظاهرتين عن الاخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين .

والحقيقة ان المعجزة بمفهومها الديني ، قـد اصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر ممـا كانت عليه في ظل وجهة النظر الكلاسيكية الى علاقات السببية فقد كانت وجهة النظر القديمة ، تفترض ان كل ظاهرتين اطرد اقتران احداهما بالأخرى ، فالعلاقة بينهما

علاقة ضرورة ، والضرورة تعني ان من المستحيل أن تنفصل احدى الظاهرتين عن الأخرى ، ولكن هذه العلاقة تحولت في منطق العلم الحديث الى قانون الاقتران أو التتابع المطرد بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية .

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدي إلى استحالة .

وأما على ضوء الأسس المنطقية للاستقراء فنحن نتفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة في ان الاستقراء ، لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين ولكنا نرى انه يدل على وجود تفسير مشترك لاطراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار ، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية ، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم

الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر اخرى باستمرار وهذه الحكمة نفسها تدعو أحيـاناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة .

٢ ـ لماذا كل هذا الحرص على اطالة عمره ؟

ونتناول الآن السؤال الثاني وهو يقول : لماذا كل هذا الحرص من الله سبحانه وتعالى على هذا الانسان بالذات ، فتعطل من أجله القوانين الطبيعية لاطالة عمره ؟ ولماذا لا تترك قيادة اليوم الموعود لشخص يتمخض عنه المستقبل ، وتنضجه ارهاصات اليوم الموعود فيبرز على الساحة ويمارس دوره المنتظر .

وبكلمة اخرى : ما هي فائدة هذه الغيبة الطويلة وما المبرّر لها ؟

وكثير من الناس يسالون هذا السؤال وهم لا يريدون أن يسمعوا جواباً غيبياً ، فنحن نؤمن بان الأئمة الاثني عشر مجموعة فريدة لا يمكن التعويض عن أي واحد منهم ، غير ان هؤلاء المتسائلين يطالبون بتفسير اجتماعي للموقف ، على ضوء الحقائق المحسوسة لعملية التغيير الكبرى نفسها والمتطلبات المفهومة لليوم الموعود .

وعلى هذا الأساس نقطع النظر مؤقتاً عن الخصائص التي نؤمن بتوفرها ، في هؤلاء الأئمة المعصومين ونطرح السؤال التالي :

اننا بالنسبة إلى عملية التغيير المرتقبة في اليوم الموعود ، بقدر ما تكون مفهومة على ضوء سنن الحياة وتجاربها ، هل يمكن أن نعتبر هذا العمر الطويل لقائدها المدّخر ، عاملاً من عوامل انجاحها وتمكنه من ممارستها وقيادتها بدرجة أكبر ؟

ونجيب على ذلك بالايجاب ، وذلك لعدة أسباب منها ما يلي :

ان عملية التغيير الكبرى تتطلب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها مشحوناً ، بالشعور ، بالتفوق والاحساس ، بضآلة الكيانات الشامخة ، التي أُعِدّ للقضاء عليها ولتحويلها حضارياً إلى عالم جديد ، فبقدر ما يعمر قلب القائد المغير من شعور بتفاهة الحضارة التي يصارعها

واحساس واضح بأنها مجرد نقطة على الخط الطويــــل لحضارة الانسان ، يصبح أكثر قدرة من الناحية النفسية على مواجهتها والصمود في وجهها ومواصلة العمل ضدها حتى النصر .

ومن الواضح ان الحجم المطـلوب من هـذا الشعور النفسي يتناسب مع حجم التغيير نفسه ، وما يراد القضاء عليه من حضارة وكيان ، فكلما كانت المواجهة لكيان أكبر ولحضارة أرسخ وأشمخ تطلبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المفعم .

ولما كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم مليء بالظلم بالجور ، تغييراً شامــــلاً بكل قيمه الحضارية وكياناته المتنوعة فمن الطبيعي أن تفتش هـذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كله ، عن شخص ليس من مواليد ذلك العــــالم الذين نشأوا في ظل تلك الحضارة التي يراد تقويضها واستبدالها بحضارة العـــدل

والحق ، لأن من ينشأ في ظـل حضارة راسخة ، تعمر الدنيا بسلطانها وقيمها وآفكارها ، يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها لأنه ولد وهي قائمـة ، ونشأ صغيراً وهي جبارة ، وفتح عينيه على الدنيـا فلم يجد سوى أوجههـا المختلفة ، وخلافـاً لذلك شخص يتوغل في التاريخ عاش الدنيا قبل أن تر تلك الحضارة النور ، ورأى الحضارات الكبيرة سادت العـــالم الواحدة تلو الأخرى ثم تداعت وانهارت ، رأى ذلك بعينيه ولم يقرأه في كتاب تاريخ ثم رأى الحضارة التي يقدّر لها أن تكوّن الفصل الأخير من قصة الانسان قبـــل اليوم الموعود ، رآها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبين ، ثم شاهدها وقد اتخذت مواقعها في احشاء المجتمع البشري تتربص الفرصة لكي تنمـــو وتظهر ، ثم عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتصاب بالنكسة تارة ويحالفهـا التوفيق تارة اخرى ، ثم واكبها وهي تزدهر وتتعملق وتسيطر بالتـدريج على مقـدّرات عالم بكامله ، فان شخصاً من هـذا القبيل عاش كل هـذه

المراحل بفطنة وانتباه كاملين ينظر الى هـــذا العملاق ـ الذي يريد أن يصارعه ـ من زاوية ذلك الامتـــداد التاريخي الطويـل الذي عاشه بجسه لا في بطون كتب التاريخ فحسب ، ينظر اليه لا بوصفه قـدراً محتومـاً ، ولا كما كان ينظر « جـان جاك روسو » الى الملكية في فرنسا ، فقد جاء عنه انه كان يرعبه مجرد ان يتصور فرنسا بدون ملك ، على الرغم من كونـــه من الدعاة الكبار فكرياً وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم. وقتئذٍ ، لأن « روسو » هذا نشأ في ظل الملَكَية وتنفس هواءها طيلة حياته ، وأما هذا الشخص المتوغـــل في التاريخ ، فله هيبة التاريخ وقوة التاريخ والشعور المفعم بان ما حوله من كيان وحضارة ، وليـــد يوم من أيام التاريخ تهيـــات له الأسباب فوجد وستتهيأ الأسباب فيزول ، فـلا يبقى منه شيء كما لم يكن يوجد منه شيء بالأمس القريب أو البعيد ، وان الأعمـــار التاريخية للحضارات والكيانات مهما طـالت فهي ليست إلا أياماً

قصيرة في عمر التاريخ الطويل .

هل قرأت سورة الكهف ؟ وهل قرأت عن أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ، وواجهوا كياناً وثنياً حاكماً ، لا يرحم ولا يتردد في خنق أي بذرة من بذور التوحيد والارتفاع عن وحدة الشرك ، فضاقت نفوسهم ودب اليها اليأس وسدّت منافذ الأمل أمام أعينهم ، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من الله حلاً لمشكلتهم بعد ان اعيتهم الحلول وكبر في نفوسهم ان يظل الباطل يحكم ، ويظلم ويقهر الحق ويصغى كل من يخفق قلبه للحق ، هل تعلم ماذا صنع الله تعالى بهم ؟ انه أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين في ذلك الكهف ، ثم بعثهم من نومهم ودفع بهم إلى مسرح الحياة ، بعد ان كان ذلك الكيان الذي بهرهم بقوته وظلمه ، قد تداعى وسقط وأصبح تاريخاً لا يرعب أحداً ولا يحرك ساكناً ، كل ذلك لكي يشهد هؤلاء الفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوته واستمراره ، ويروا انتهاء أمره

باعينهم ويتصاغر الباطـــل في نفوسهم ، ولئن تحققت لأصحاب الكهف هذه الرؤية الواضحة بكل ما تحمل من زخم وشموخ نفسيين من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مدد حياتهم ثلاثمائة سنة ، فان الشيء نفسه يتحقق للقائد المنتظر من خلال عمره المديـد الذي يتيح له أن يشهد العملاق وهو قزم والشجرة الباسقة وهي بذرة، والاعصار وهو مجرد نسمة .

أضف إلى ذلك : أن التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها لهـــا أثر كبير في الاعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود ، لأنها تضع الشخص المدخّر أمـام ممارسات كثيرة للآخرين بكل ما فيهـا من نقاط الضعف والقوة ومن ألوان الخطا والصواب وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على اسبابها ، وكل ملابساتها التاريخية .

ثم ان عملية التغيير المدّخرة للقائد المنتظر تقوم على

أساس رسالة معينة هي رسالة الإسلام ، ومن الطبيعي أن تتطلب العملية في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأولى ، قد بنيت شخصيته بناءً كاملاً بصورة مستقلة ومنفصلة عن مؤثرات الحضارة التي يقدر لليوم الموعود أن يحاربها وخلافاً لذلك الشخص الذي يولد وينشأ في كنف هذه الحضارة وتتفتح افكاره ومشاعره في اطارها ، فانه لا يتخلص غالباً من رواسب تلك الحضارة ومرتكزاتها ، وان قاد حملة تغييرية ضدها ، فلكي يضمن عدم تأثر القائد المدّخر بالحضارة التي اعد لاستبدالها لا بد أن تكون شخصيته قد بنيت بناءً كاملاً في مرحلة حضارية سابقة هي أقرب ما تكون في الروح العامة ، ومن ناحية المبدأ الى الحالة الحضارية التي يتجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته .

٣ ـ كيف اكتمل اعداد القائد المنتظر ؟

ونأتي الآن على السؤال الثالث القائل : كيف اكتمل إعداد القائد المنتظر مع انه لم يعاصر اباه الامام العسكري الا خمس سنوات تقريباً وهي فترة الطفولة التي لا تكفي لانضاج شخصية القائد فما هي الظروف التي تكامل من خلالها ؟

والجواب : ان المهدي « عليه السلام » خلّف أباه في امامة المسلمين ، وهذا يعني انه كان اماماً بكل مـــا في الإمامة من محتوى فكري وروحي في وقت مبكر جداً من حياته الشريفة .

والامامة المبكرة ظاهرة مسبقة اليها عدد من آبائه عليهم السلام ، فالامام محمـــد بن علي الجواد (ع) تولى الامامة وهو في الثامنة من عمره والامام علي بن محمد

الهادي تولى الامامة وهو في التاسعة من عمره والامام أبو محمد الحسن العسكري والد القائد المنتظر تولى الامامة وهو في الثانية والعشرين من عمره ، ويلاحظ ان ظاهرة الامامة المبكرة بلغت ذروتها في الامام المهدي (ع) والامام الجواد (ع) ونحن نسميها ظاهرة لأنها كانت بالنسبة إلى عدد من آباء المهدي « عليه السلام » تشكل مدلولاً حسياً عملياً ، عاشه المسلمون ووعوه في تجربتهم مع الامـــام بشكل وآخر ، ولا يمكن أن نطالب باثبات لظاهرة من الظواهر أوضح وأقوى من تجربة امة . ونوضح ذلك ضمن النقاط التالية :

١ ـ لم تكن امامة الامام من أهل البيت مركزاً من مراكز السلطان والنفوذ التي تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن ويدعمها النظام الحاكم كإمامة الخلفاء الفاطميين ، وخلافة الخلفاء العباسيين ، وانما كانت تكتسب ولاء قواعدها الشعبية الواسعة عن طريق التغلغل الروحي والاقناع الفكري لتلك القواعد

بجدارة هذه الامامة لزعامة الإسلام وقيادته على أسس روحية وفكرية .

ب - ان هذه القواعد الشعبية بنيت منذ صدر الإسلام، وازدهرت واتسعت على عهد الامامين الباقر والصادق « عليهما السلام » واصبحت المدرسة التي رعاها هذان الامامان ، في داخل هذه القواعد تشكل تياراً فكرياً واسعاً ، في العالم الإسلامي يضم المئات من الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والعلماء في مختلف ضروب المعرفة الاسلامية والبشرية المعروفة وقتئذٍ ، حتى قال الحسن بن علي الوشا : اني دخلت مسجد الكوفة فرأيت فيه تسعمائة شيخ كلهم يقولون حدثنا جعفر بن محمد .

ج - ان الشروط التي كانت هذه المدرسة وما تمثله من قواعد شعبية في المجتمع الإسلامي ، تؤمن بها وتتقيد بموجبها في تعيين الامام والتعرف على كفاءته للامامة

شروط شديدة ، لأنها تؤمن بأن الامام لا يكون اماماً إلا إذا كان أعلم علماء عصره .

د - ان المدرسة وقواعدها الشعبية كانت تقدم تضحيات كبيرة في سبيل الصمود على عقيدتها في الامامة ، لأنها كانت في نظر الخلافة المعاصرة لها تشكل خطاً عدائياً ، ولو من الناحية الفكريه على الأقل ، الأمر الذي أدى إلى قيام السلطات وقتئذٍ وباستمرار تقريباً حملات من التصفية والتعذيب ، فقتل من قتل ، وسجن من سجن ، ومات في ظلمات المعتقلات المئات . وهذا يعني ان الاعتقاد بامامة أئمة أهل البيت كان يكلفهم غالياً ولم يكن له من الاغراءات سوى ما يحسّ به المعتقد أو يفترضه من التقرب إلى الله تعالى والزلفى عنده .

هـ - ان الأئمة الذين دانت هذه القواعد لهم بالامامة لم يكونوا معزولين عنها ولا متقوقعين في بروج عالية

شأن السلاطين مع شعوبهم ، ولم يكونوا يحتجبون عنهم إلا ان تحجبهم السلطة الحاكمة بسجن أو نفي ، وهذا ما نعرفه من خلال العـدد الكبير من الرواة والمحدثين عن كل واحد من الأئمـة الاحد عشر ومن خلال ما نقل من المكاتبات التي كانت تحصل بـين الامام ومعاصريه وما كان الامام يقوم به من اسفار من ناحية ، وما كان يبثه من وكلاء في مختلف انحاء العالم الاسلامي من ناحية أخرى وما كان قد اعتاده الشيعة من تفقـد أئمتهم وزيارتهم في المدينـة المنورة عندمـــا يؤمون الديار المقدسة من كل مكان لاداء فريضة الحج ، كل ذلك يفرض تفاعـــلا مستمراً بدرجة واضحة بين الامـــام وقواعده الممتدة في ارجاء العالم الإسلامي بمختلف طبقاتهـا من العلماء وغيرهم .

و ـ ان الخلافة المعاصرة للأئمـة (ع) كانت تنظر اليهم وإلى زعامتهم الروحية والامـامية بوصفها مصدر

خطر كبير على كيانها ومقدراتها ، وعلى هذا الاساس بذلت كل جهودها في سبيل تفتيت هذه الزعامة وتحملت في سبيل ذلك كثيراً من السلبيات ، وظهرت احياناً بمظاهر القسوة والطغيان حينما اضطرها تامين مواقعها إلى ذلك ، وكانت حملات الاعتقال والمطاردة مستمرة للأئمة أنفسهم على الرغم مما يخلفه ذلك من شعور بالألم أو الإشمئزاز عند المسلمين وللناس الموالين على اختلاف درجاتهم .

إذا أخذنا هذه النقاط الست بعين الاعتبار ، وهي حقائق تاريخية لا تقبل الشك ، أمكن أن نخرج بنتيجة وهي : ان ظاهرة الامامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية ولم تكن وهماً من الأوهام ، لأن الامام الذي يبرز على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه اماماً روحياً وفكرياً للمسلمين ، ويدين له بالولاء والامامة كل ذلك التيار الواسع لا بد أن يكون على قدر واضح وملحوظ بل وكبير من العلم والمعرفة وسعة الأفق والتمكن من الفقه

والتفسير والعقائد ، لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنع تلك القواعد الشعبية بامامته مع ما تقدم من أن الأئمة كانوا في مواقع تتيح لقواعدهم التفاعل معهم وللأضواء المختلفة ، ان تسلط على حياتهم وموازين شخصيتهم . فهل ترى ان صبياً يدعو إلى امامة نفسه وينصب منها علماً للإسلام وهو على مرأى ومسمع من جماهير قواعده الشعبية فتؤمن به وتبذل في سبيل ذلك الغالي من أمنها وحياتها بدون أن تكلف نفسها اكتشاف حاله وبدون أن تهزها ظاهرة هذه الامامة المبكرة لاستطلاع حقيقة الموقف وتقييم هذا الصبي الامام؟ وهب ان الناس لم يتحركوا لاستطلاع الموقف ، فهل يمكن أن تمر المسالة أياماً وشهوراً بل اعواماً دون أن تتكشف الحقيقه على الرغم من التفاعل الطبيعي المستمر بين الصبي الامام وسائر الناس ؟ وهل من المعقول أن يكون صبياً في فكره وعلمه حقاً ثم لا يبدو ذلك من خلال هذا التفاعل الطويل ؟

وإذا افترضنا ان القواعد الشعبية لامامة أهل البيت لم يتح لها أن تكتشف واقع الأمر فلماذا سكتت الخلافة القائمة ولم تعمل لكشف الحقيقة إذا كانت في صالحها ؟ وما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الامام الصبي صبياً في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان ، وما كان أنجحه من اسلوب ان تقدم هذا الصبي إلى شيعته وغير شيعته على حقيقته وتبرهن على عدم كفاءته للامامة والزعامة الروحية والفكرية . فلئن كان من الصعب الاقناع بعدم كفاءة شخص في الأربعين أو الخمسين قد احاط بقدر كبير من ثقافة عصره لتسلم الامامة فليس هناك صعوبة في الاقناع بعدم كفاءة صبي اعتيادي مهما كان ذكياً وفطناً للامامة بمعناها الذي يعرفه الشيعة الاماميون ، وكان هذا أسهل وأيسر من الطرق المعقدة وأساليب القمع والمجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذٍ .

ان التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة ، عن

اللعب بهذه الورقة هو انها أدركت ان الامامة المبكرة ظاهرة حقيقية وليست شيئاً مصطنعاً .

والحقيقة انها أدركت ذلك بالفعل بعد ان حاولت أن تلعب بتلك الورقة فلم تستطع ، والتاريخ يحدثنا عن محاولات من هذا القبيل وفشلها بينما لم يحدثنا اطلاقاً عن موقف تزعزعت فيه ظاهرة الامامة المبكرة أو واجه فيه الصبي الامام احراجاً يفوق قدرته أو يزعزع ثقة الناس فيه .

وهذا معنى ما قلناه من أن الامامة المبكرة ظاهرة واقعية في حياة أهل البيت وليست مجرد افتراض ، كما ان هذه الظاهرة الواقعية لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء الذي امتد عبر الرسالات والزعامات الربانية ويكفي مثالاً لظاهرة الامامة المبكرة في التراث الرباني لأهل البيت (ع) يحيى (ع) إذ قال الله سبحانه وتعالى : (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ

الحكمَ صبيّاً) [1] .

ومتى ثبت ان الامامة المبكرة ظاهرة واقعية ومتواجدة فعلا في حياة أهل البيت لم يعد هناك اعتراض فيما يخص امامة المهدي « عليه السلام » وخلافته لأبيه وهو صغير .

(١) سورة مريم آية ١٢ .

٤ ـ كيف نؤمن بأن المهدي قد وجد ؟

ونصل الآن إلى السؤال الرابع وهو يقول : هب ان فرضية القائد المنتظر ممكنة بكل ما تستبطنه من عمر طويل وامامـــة مبكرة وغيبة صامتة فان الامكان لا يكفي لاقتناع بوجوده فعلا . فكيف نؤمن فعلا بوجود المهدي؟ وهل تكفي بضع روايات تنقل في بطون الكتب عن الرسول الاعظم (ص) للاقتناع الكامل بالامام الثاني عشر على الرغم مما في هذا الافتراض من غرابة وخروج عن المالوف بل كيف يمكن أن تثبت ان للمهدي وجوداً تاريخياً حقاً وليس مجرد افتراض توفرت ظروف نفسية لتثبيته في نفوس عدد كبير من الناس ؟

والجواب : ان فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم الى الافضل قـد جاءت في احاديث الرسول الاعظم عموماً وفي روايات أئمة أهـــل البيت خصوصاً ،

وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى اليها الشك ، وقد أحصي أربعمائة حديث عن النبي (ص) من طرق اخواننا أهل السنة [1] كما أحصي مجموع الأخبار الواردة في الامام المهدي من طرق الشيعة والسنه فكان أكثر من ستة آلاف رواية [2] ، وهذا رقم احصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهية التي لا يشك فيها مسلم عادة .

واما تجسيد هذه الفكرة في الامام الثاني عشر « عليه الصلاة والسلام » فهذا ما توجد مبررات كافية وواضحة للاقتناع به .

ويمكن تلخيص هذه المبررات في دليلين : أحدهما إسلامي والآخر علمي .

فبالدليل الإسلامي نثبت وجود القائد المنتظر ،

---

(١) يلاحظ كتاب (المهدي) للسيد المرحوم الصدر قدس الله روحه الذكية .

(٢) يلاحظ كتاب منتخب الأثر في الامام الثاني عشر الشيخ لطف الله الصافي .

وبالدليل العلمي نبرهن على ان المهدي ليس مجرد اسطورة وافتراض بل هو حقيقة ثبت وجودها بالتجربة التاريخية.

أما الدليل الاسلامي ، فيتمثل في مئـــات الروايات الواردة عن رسول الله (ص) والأئمة من أهل البيت(ع) والتي تدل على تعيين المهدي وكونه من أهـل البيت ومن ولد فاطمة ومن ذرية الحسين وانه التاسع من ولد الحسين وان الخلفاء اثنا عشر ، فان هـــذه الروايات تحدد تلك الفكرة العامة وتشخيصها في الامـام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ، وهي روايات بلغت درجة كبيرة من الكثرة والانتشار على الرغم من تحفظ الأئمـــة « عليهم السلام » واحتياطهم في طرح ذلك على المستوى العام وقاية للخلف الصالح من الاغتيال أو الاجهاز السريع على حياته .

وليست الكثرة العددية للروايات هي الأساس الوحيد لقبولها ، بل هناك اضافـة إلى ذلك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها ، فالحديث النبـــوي الشريف عن الأئمة أو

الخلفاء أو الأمراء بعده وانهم اثني عشر اماماً أو خليفة أو أميراً ـ على اختلاف متن الحديث في طرقه المختلفة ـ قد أحصى بعض المؤلفين رواياته فبلغت أكثر من مائتين وسبعين رواية ماخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنة بما في ذلك البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود ومسند أحمد ومستدرك الحاكم على الصحيحين.

ويلاحظ هنا أن البخاري الذي نقل هذا الحديث كان كان معاصراً للإمام الجواد والامامين الهادي والعسكري وفي ذلك مغزىً كبير، لأنه يبرهن على ان هذا الحديث قد سجل عن النبي (ص) قبل أن يتحقق مضمونه وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً، وهذا يعني انه لا يوجد أي مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متاثراً بالواقع الامامي الاثني عشري وانعكاساً له، لأن الاحاديث المزيفة التي تنسب إلى النبي (ص) وهي انعكاسات أو تبريرات لواقع متاخر زمنياً لا تسبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذي تشكل

انعكاساً له ، فما دمنا قد ملكنا الدليل المادي على ان الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر ، وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الامامي الاثني عشري ، أمكننا أن نتاكد من أن هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع وإنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن هوى ، فقال : ان الخلفاء بعدي اثني عشر . وجاء الواقع الامامي الاثني عشري ابتداءاً من الامام علي وانتهاءاً بالمهدي ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوي الشريف .

وأما الدليل العلمي ، فهو يتكون من تجربة عاشتها أمة من الناس فترة امتدت سبعين سنة تقريباً وهي فترة الغيبة الصغرى . ولتوضيح ذلك نمهد باعطاء فكرة موجزة عن الغيبة الصغرى :

ان الغيبة الصغرى تعبر عن المرحلة الأولى من امامة القائد المنتظر « عليه الصلاة والسلام » فقد قدّر لهذا

الامام منذ تسلمه للامامة أن يستتر عن المسرح العام ويظل بعيداً باسمه عن الاحداث وان كان قريبـــاً منها بقلبه وعقله ، وقد لوحظ ان هـذه الغيبة إذا جاءت مفاجأة حققت صدمة كبيرة للقـواعد الشعبية للامامة في الأمة الإسلامية ، لأن هـذه القواعد كانت معتادة على الاتصال بالامام في كل عصر والتفاعل معه والرجوع اليه في حـل المشاكل المتنوعة فإذا غاب الامـــام عن شيعته فجأة وشعروا بالانقطاع عن قيادتهم الروحية والفكرية سببت هذه الغيبة المفاجـــأة الاحساس بفراغ دفعي هائل قد يعصف بالكيان كله ويشتت شمله ، فكان لا بد من تمهيد لهذه الغيبة لكي تألفها هـذه القواعـد بالتدريج وتكيف نفسها شيئاً فشيئاً على أساسها ، وكان هـــذا التمهيد هو الغيبة الصغرى التي اختفى فيها الامام المهدي عن المسرح العام غير انه كان دائم الصلة بقواعده وشيعته عن طريق وكلائه ونوابه والثقاة من أصحابه الذين يشكلون همزة الوصل بينه وبين الناس المؤمنين بخطه الامامي . وقـد

أشغل مركز النيابة عن الامام في هـذه الفترة أربعة ممن أجمعت تلك القواعـد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم التي عاشوا ضمنها وهم كما يلي :

١ ـ عثمان بن سعيد العمري .

٢ ـ محمد بن عثمان بن سعيد العمري .

٣ ـ ابو القاسم الحسين بن روح .

٤ ـ ابو الحسن علي بن محمد السمري .

وقد مارس هؤلاء الأربعة مهـــام النيابة بالترتيب المذكور وكلما مات أحدهم خلفه الآخر الذي يليه بتعيين من الامام المهدي (ع) .

وكان النائب يُتصل بالشيعة ويحمـــل اسئلتهم إلى الامـام ، ويعرض مشاكلهم عليه ويحمـل اليهم اجوبته شفهية أحياناً وتحريرية في كثير من الأحيان ، وقـــد وجدت الجماهير التي فقدت رؤية امامهـا العزاء والسلوة في هذه المراسلات والاتصالات غير المباشرة . ولاحظت

ان كل التوقيعات والرسائل كانت ترد من الامام المهدي (ع) بخط واحد وسليقة واحدة طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عاماً ، وكان السمري هو آخر النواب فقد اعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى التي تتميز بنواب معينين ، وابتداء الغيبة الكبرى التي لا يوجد فيها اشخاص معينون بالذات للوساطة بين الامام القائد والشيعة ، وقد عبر التحول من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصغرى لأهدافها وانتهاء مهمتها لأنها حصنت الشيعة بهذه العملية التدريجية عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائل بسبب غيبة الامام ، واستطاعت أن تكيف وضع الشيعة على أساس الغيبة وتعدهم بالتدريج لتقبل فكرة النيابة العامة عن الامام وبهذا تحولت النيابة من أفراد منصوصين إلى خط عام وهو خط المجتهد العادل البصير بامور الدنيا والدين تبعاً لتحول الغيبة الصغرى إلى غيبة كبرى .

والآن بامكانك أن تقدر الموقف في ضوء ما تقـــدم لـكي تدرك بوضوح انـ المهـدي حقيقة عاشتها أمة من الناس وعبر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين ، ولم يلحظ عليهم أحـد كل هذه المدة تلاعباً في الكلام أو تحايلاً في التصرف أو تهافتاً في النقل . فهل تتصور ـ بربك ـ ان بامكان اكذوبة أن تعيش سبعين عاماً ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها ويظلون يتعاملون على أساسها وكأنها قضية يعيشونها بانفسهم ويرونهـا باعينهم دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشك ودون أن يكون بـين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيـــح لهم نحواً من التواطؤ ويكسبون من خلال مـا يتصف بـه سلوكهم من واقعية ثقة الجميع وإيمـــانهم بواقعية القضية التي يدعون انهم يحسونها ويعيشون معها ؟!

لقد قيل قديماً ان حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً ان من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن

تعيش اكذوبة بهذا الشكل وكل هذه المدة وضمن كل تلك العلاقات والأخذ والعطاء ثم تكسب ثقة جميع من حولها .

وهكذا نعرف ان ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لاثبات ما لها من واقع موضوعي والتسليم بالامام القائد بولادته وحياته وغيبته واعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد .

٥ ـ لماذا لم يظهر القائد اذن ؟

لماذا لم يظهر القائد إذن طيلة هذه المدة ؟ وإذا كان قد أعَدَّ نفسه للعمل الاجتماعي ، فما الذي منعه عن الظهور على المسرح في فترة الغيبة الصغرى أو في اعقابها بدلاً عن تحويلها إلى غيبة كبرى ، حيث كانت ظروف العمل الاجتماعي والتغييري ، وقتئذٍ أبسط وأيسر وكانت صلته الفعلية بالناس من خلال تنظيمات الغيبة الصغرى تتيح له أن يجمع صفوفه ويبدأ عمله بداية قوية ولم تكن القوى الحاكمة من حوله قد بلغت الدرجة الهائلة من القدرة والقوة التي بلغتها الانسانية بعد ذلك من خلال التطور العلمي والصناعي ؟

والجواب : ان كل عملية تغيير اجتماعي يرتبط نجاحها بشروط وظروف موضوعية لا يتاتى لها أن تحقق هدفها إلا عندما تتوفر تلك الشروط والظروف .

وتتميز عمليات التغيير الاجتماعي التي تفجرها السماء على الأرض بانها لا ترتبط في جانبها الرسالي بالظروف الموضوعية ، لأن الرسالة التي تعتمدها عملية التغيير هنا ربانية ومن صنع السماء لا من صنع الظروف الموضوعية، ولكنها في جانبها التنفيذي تعتمد الظروف الموضوعية ويرتبط نجاحها وتوقيتها بتلك الظروف . ومن أجل ذلك انتظرت السماء مرور خمسة قرون من الجاهلية حتى انزلت آخر رسالاتها على يد النبي محمد (ص) لأن الارتباط بالظروف الموضوعية للتنفيذ كان يفرض تاخرها على الرغم من حاجة العالم اليها منذ فترة طويلة قبل ذلك .

والظروف الموضوعية التي لها أثر في الجانب التنفيذي من عملية التغيير منها ما يشكل المناخ المناسب والجو العام للتغيير المستهدف ، ومنها ما يشكل بعض التفاصيل التي تتطلبها حركة التغيير من خلال منعطفاتها التفصيلية . فبالنسبة إلى عملية التغيير التي قادها مثلاً لينين في روسيا بنجاح كانت ترتبط بعامل من قبيل قيام

الحرب العالمية الأولى وتضعضع القيصرية ، وهذا ما يساهم في ايجاد المنـاخ المناسب لعملية التغيير ، وكانت ترتبط بعوامل أخرى جزئية ومحـدودة من قبيل سلامة لينين مثلاً في سفره الذي تسلل فيه إلى داخل روسيا وقـــاد الثورة ، إذ لو كان قد اتفق له أي حـادث يعيقه لـكان من المحتمل أن تفقـــد الثورة بذلك قدرتها على الظهور السريع على المسرح .

وقد جرت سنة الله تعالى التي لا تجد لهـا تحويلاً في عمليات التغيير الرباني على التقيد من النـــاحية التنفيذية بالظروف الموضوعية التي تحقق المناخ المناسب والجو العام لإنجاح عملية التغيير ، ومن هنا لم يات الإسلام إلا بعـد فترة من الرسل وفراغ مرير إستمر قروناً من الزمن .

فعلى الرغم من قـدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على تذليـــل كل العقبات والصعاب في وجه الرسالة الربانية وخلق المناخ المناسب لها خلفاً بالاعجاز لم يشأ أن يستعمل

هذا الاسلوب ، لأن الامتحان والابتلاء والمعاناة التي من خلالها يتكامل الانسان يفرض على العمل التغييري الرباني أن يكون طبيعياً وموضوعياً من هذه الناحية ، وهذا لا يمنع عن تدخل الله ـ سبحانه وتعالى ـ احياناً فيما يخص بعض التفاصيل التي لا تكوّن المناخ المناسب وانما قد يتطلبها أحياناً التحرك ضمن ذلك المناخ المناسب ، ومن ذلك الامدادات والعنايات الغيبية التي يمنحها الله تعالى لأوليائه في لحظات حرجة فيحمي بها الرسالة وإذا بنار نمرود تصبح برداً وسلاماً على ابراهيم ، وإذا بيد اليهودي الغادر التي ارتفعت بالسيف على رأس النبي (ص) تشل وتفقد قدرتها على الحركة ، وإذا بعاصفة قوية تجتاح مخيمات الكفار والمشركين الذين احدقوا بالمدينة في يوم الخندق وتبعث في نفوسهم الرعب ، إلا أن هذا كله لا يعدو التفاصيل وتقديم العون في لحظات حاسمة بعد ان كان الجو المناسب والمناخ الملائم لعملية التغيير على العموم قد تكوّن بالصورة الطبيعية ووفقاً للظروف الموضوعية .

وعلى هذا الضوء ندرس موقف الامام المهدي « عليه السلام » لنجد ان عملية التغيير التي اعد لهـا ترتبط من النـــاحية التنفيذية كأي عملية تغيير اجتماعي اخرى بظروف موضوعية تساهم في توفير المناخ الملائم لها ، ومن هنا كان من الطبيعي أن توقت وفقاً لذلك . ومن المعلوم ان المهدي لم يكن قد اعد نفسه لعمل اجتماعي محـدود ، ولا لعملية تغيير تقتصر على هـــذا الجزء من العالم أو ذاك ، لأن رسالته التي أدخر لها من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ هي تغيير العـــالم تغييراً شاملاً ، واخراج البشرية كل البشرية من ظلمـات الجور إلى نور العدل ، وعملية التغيير الكبرى هـذه لا يكفي في ممـارستها مجرد وصول الرسالة والقـائد الصالح وإلا لتمت شروطها في عصر النبوة بالذات ، وإنمـا تتطلب مناخاً عالميـاً مناسباً وجواً عاماً مساعداً يحقق الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير العالمية .

فمن الناحيـة البشرية يعتبر شعور انسان الحضارة

بالنفاد عاملاً أساسياً في خلق ذلك المناخ المناسب لتقبل رسالة العدل الجديدة ، وهذا الشعور بالنفاد يتكون ويترسخ من خلال التجارب الحضارية المتنوعة التي يخرج منها انسان الحضارة مثقلاً بسلبيات ما بنى مدركاً حاجته إلى العون ، متلفتاً بفطرته إلى الغيب أو إلى المجهول . ومن الناحية المادية يمكن أن تكون شروط الحياة المادية الحديثة أقدر من شروط الحياة القديمة في عصر كعصر الغيبة الصغرى على انجاز الرسالة على صعيد العالم كله ، وذلك بما تحققه من تقريب المسافات والقدرة الكبيرة على التفاعل بين شعوب الأرض وتوفير الأدوات والوسائل التي يحتاجها جهاز مركزي لممارسة توعية لشعوب العالم وتثقيفها على أساس الرسالة الجديدة .

وأما ما أشير اليه في السؤال من تنامي القوى والاداة العسكرية التي يواجهها القائد في اليوم الموعود كلما أجّل ظهوره ، فهذا صحيح . ولكن ماذا ينفع نمو

الشكل المادي للقوة مع الهزيمة النفسية من الداخل وانهيار البنـــاء الروحي للانسان الذي يملك كل تلك القوى والأدوات ؟ وكم من مرة في التاريخ انهار بنـاء حضاري شامخ باول لمسة غازية لأنه كان منهاراً قبل ذلك وفاقداً الثقة بوجوده والقناعة بكيانه والاطمئنان إلى واقعه .



٦ ـ وهل للفرد كل

هـذا الدور !

ونأتي إلى سؤال آخر في تسلسل الاسئلة المتقـــدمة وهو السؤال الذي يقـول : هل للفرد مهما كان عظيماً القدرة على انجاز هذا الدور العظيم ؟ وهـل الفرد العظيم إلا ذلك الإنسان الذي ترشحه الظروف ليكـون واجهته له في تحقيق حركتها ؟

والفكرة في هـذا السؤال ترتبط بوجهة نظر معينة للتاريخ تفسره على أساس ان الانسان عامـــل ثانوي فيه والقوى الموضوعية المحيطة به هي العامل الأساسي ، وفي اطار ذلك لن يكون الفرد في أفضل الأحوال إلا التعبير الذكي عن اتجاه هذا العامل الأساسي .

ونحن قـــد أوضحنا في مواضع أخرى من كتبنا المطبوعة ان التاريخ يحتوي على قطبين . أحدهما الانسان ، والآخر القوى المادية المحيطة به . وكما تؤثر القوى المادية وظروف الانتـــاج والطبيعة في الانسان يؤثر الانسان

أيضاً فيا حوله من قوى وظروف ، ولا يوجـــد مبرر لافتراض ان الحركة تبتدأ من المادة وتنتهي بالإنسان إلا بقدر ما يوجد مبرر لافتراض العكس ، فالإنسان والمادة يتفاعلان على مر الزمن وفي هـذا الإطار بامكان الفرد أن يكون أكبر من ببغاء في تيار التاريخ ، وبخاصة حين ندخل في الحساب عامل الصلة بين هـذا الفرد والسماء . فإن هذه الصلة تدخل حينئذٍ كقوة موجهـــة لحركة التاريخ . وهذا مـا تحقق في تاريخ النبـوات وفي تاريخ النبوة الخاتمة بوجـه خاص ، فان النبي محـمد (ص) بحكم صلته الرسالية بالسماء تسلم بنفسه زمـام الحركة التاريخية وأنشا مـداً حضارياً لم يكن بامكان الظروف الموضوعية التي كانت تحيط به أن تتمخض عنه بحال من الاحوال ، كما أوضحنا ذلك في المقدمة الثانية للفتاوى الواضحة .

وما أمكن أن يقع على يـد الرسول الأعظم يمكن أن يقع على يد القـــائد المنتظر من أهل بيته الذي بشر به ونوه عن دوره العظيم .

٧ ـ ما هي طريقة التغيير في اليوم الموعود !

ونصل في النهاية إلى السؤال الأخير من الأسئلة التي عرضناها ، وهو السؤال عن الطريقة التي يمكن أن تتصور من خلالها ما سيتم على يد ذلك الفرد من انتصار حاسم للعدل وقضاء على كيانات الظلم المواجهة له ؟

والجواب: المحدد على هذا السؤال يرتبط بمعرفة الوقت والمرحلة التي يقدر للامام المهدي (ع) أن يظهر فيها على المسرح وامكان افتراض ما تتميز به تلك المرحلة من خصائص وملابسات لكي ترسم في ضوء ذلك الصورة التي قد تتخذها عملية التغيير والمسار الذي قد تتحرك ضمنه ، وما دمنا نجهل المرحلة ولا نعرف شيئاً عن ملابساتها وظروفها فلا يمكن التنبؤ العلمي بما سيقع في أليوم الموعود وان امكنت الافتراضات والتصورات التي تقوم في الغالب على أساس ذهني لا على أسس واقعية عينيه .

وهناك افتراض أساسي واحد بالامكان قبوله على ضوء الأحـاديث التي تحدثت عنه والتجـارب التي لوحظت لعمليات التغيير الكبرى في التاريخ، وهو افتراض ظهور المهدي « عليه السلام » في أعقاب فراغ كبير يحدث نتيجة نكسة وأزمة حضارية خانقة . وذلك الفراغ يتيح المجال للرسالة الجديدة أن تمتد وهذه النكسة تهيء الجو النفسي لتقبولها ، وليست هذه النكسة بمجرد حادثة تقع صدفة في تاريخ الحضارة الإنسانية وإنمـــا هي نتيجة طبيعية لتناقضات التـاريخ المنقطع عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ التي لا تجد لها في نهاية المطاف حلاً حاسماً فتشتعل النار التي لا تبقي ولا تـــذر ويبرز النور في تلك اللحظة ليطفىء النار ويقيم على الأرض عدل السماء .

وساقتصر على هذا الموجز من الأفكار تاركاً التوسع فيها وما يرتبط بهـــا من تفاصيل إلى الكتاب القيم الذي أمامنا ، فإننا بين يدي موسوعة جليلة في الامـام المهدي « عليه السلام » وضعها أحـد أولادنا وتلامذتنا الأعزاء وهو العلامة البحاثة السيد محمـــد الصدر ـ حفظه الله

تعالى ـ وهي موسوعة لم يسبق لها نظير في تاريخ التصنيف الشيعي حول المهدي « عليه السلام » في احاطتها وشمولها لقضية الامام المنتظر من كل جوانبها ، وفيها من سعة الأفق وطول النفس العلمي واستيعاب الكثير من النكات واللفتات ما يعبر عن الجهود الجليلة الذي بذلها المؤلف في انجاز هذه الموسوعة الفريدة . وإني لأحس بالسعادة وأنا أشعر بما تملأه هذه الموسوعة من فراغ وما تعبر عنه من فضل ونباهة وألمعية وأسأل المولى ـ سبحانه وتعالى ـ أن يقر عيني به ويريني فيه علماً من أعلام الدين . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين. وقد وقع الابتداء في كتابة هذه الوريقات في اليوم الثالث عشر من جمادي الثانية سنة ١٣٩٧هـ ووقع الفراغ منها عصر اليوم السابع عشر من الشهر نفسه .

والله ولي التوفيق .

محمد باقر الصدر

النجف الأشرف

الفهرست

صفحة

صفحة


دار التعارف للمطبوعات